المجلد: 07؛ العدد: 01؛ 2018
ص 95- 112

مجلة منبر التراث الأثري
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267

الحصون والمحارس بضواحي تلمسان–دراسة إحصائية لبعض النماذج–

Fortresses and teachers in the suburbs of Tlemcen - a statistical study of some models -

الدكتور:محمد بن حمو
أستاذ بقسم علم الآثار
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
جامعة تلمسان.

الملخص:

يتطرق هذا المقال لمحاولة احصاء مراكز الحراسة الموجودة بضواحي مدينة تلمسان من خلال المصادر الجغرافية والبقايا المادية .حاولنا في البداية التطرق للمصطلحات التي استعملت لوصف هذه المعالم الاثرية وضبط معناها . واستطعنا احصاء سبعة عشر 17 حصنا وبرجي مرافبة مستقلين .ولقد بقيت آثار بعض هذه المعالم إلى الآن ولكن معظمها لم يبق له أثر .كما اجتهدنا في تحديد مكان كل هذه المعالم على خريطة بالقمر الاصطناعي.

Abstract:

This s article deals with the attempt to enumerate the guard posts located on the outskirts of Tlemcen through geographical sources and physical remains.

At first we tried to address the terms used to describe these archaeological monuments and to adjust their meaning. We were able to count seventeen 17 bastion towers and independent monitoring. The effects of some of these monuments remained to now, but most of them left an impact. We have also worked hard to locate all of these features on a satellite map

تمهيد:

لقد ارتبط بناء الحصون والمحارس على ثغور الدولة الإسلامية الساحلية والداخلية بمسألة المرابطة والجهاد في سبيل الله، لذلك فإننا نجد تداخلا في المصطلحات التي تشير إلى تلك المباني والمعالم التي أنشأت لهذا الغرض، فقد سُميت بالرباط، والحصن، والقلعة، والقصر، والمحرس، والمنظر، وقد وُجدت هذه المعالم في مختلف المدن الإسلامية مشرقا ومغربا، وكان لتلمسان حضها من هذه المنشآت، وسنحاول في هذا المقال ضبط المصطلحات التي أطلقت على هذه المعالم، ومن ثم نعرج على الحصون والمحارس الموجودة بضواحي مدينة تلمسان من خلال المصادر الجغرافية.

1- مفاهيم حول المصطلحات:

1-أ- الرباط: الرباط لغة واصطلاحا:

لغة ربطتُ الشيء أربِطه وأربُطه، أي شددته، والموضع مربطٌ، والرباط ما تشدُّ به القِربة والدابة وغيرهما، والرباط المرابطة وهو ملازمة ثغر العدو، والرباط واحد الرباطات المبنية، وربط الشيء يربِطه ويربُطه ربطا فهو مربوط وربيط: شدّه، والرباط: ما ربط به، والجمع رُبُطٌ، والرباط والمرابطة ملازمة ثغر العدو، وأصل المرابطة أن يربط الفريقان خيولهما في ثغر كل منهما معدٍ لصاحبه، فسمي المُقام ولزوم الثغور رباطا، وربما سميت الخيل نفسها رباطا، والرّباط المواظبة على الأمر، قال الفارسي هو ثانٍ من لزوم الثغر، ولزوم الثغر ثانٍ من رباط الخيل...الرباط في الأصل الإقامة على جهاد العدو بالحرب وارتباط الخيل وإعدادها[1]، ويقصد به الحصن أو الثغر أو المكان الذي يرابط فيه الجيش للدفاع عن الدولة، وأحد الأبنية الدينية المربوطة للفقراء من المتصوفة[2].

وقد ذُكر الرِّباط في القرآن الكريم وفي سنة النبيّ صلى الله عليه وسلّم، ففي القرآن في قول الله تعالى"**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل...**"[3]، وقوله تعالى:"**يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا**

1-أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري(ت393هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق إميل بديع ومحمد نبيل طريفي، ط1، ج3، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، 1420هـ/1999م، ص363؛ابن المنظور، مصدر سابق، ج7، ص202-203؛ ناجي جلول، مرجع سابق، ص15.

2-عاصم محمد رزق،**معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية**، ط1، مكتبة مدبولي، 2000م، ص115.

3-سورة الأنفال، الآية 60.

الله لعلكم تفلحون"[1]، في هذه الآية لا نجد مفهوم ملازمة الثغور إذ أن هذه الوظيفة سوف لن تظهر إلا بعد الفتوحات الإسلامية التي حولت الحرب مع البزنطيين والأتراك إلى حرب مواقع، ويبدو أنه منذ العهد الأموي وخاصة العباسي بدأت الكلمة تعني على الأقل في المشرق مكانا محصنا(قلعة، برج مراقبة، خندق، خان، مدينة محصنة...)، وكانت هذه المنشآت توجد خاصة على الحدود والسواحل والطرق الداخلية غير الآمنة[2].

وفي الحديث النبوي ذُكرت عدة أحاديث منها ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:"**عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله**"[3]، وعن سلمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:"**رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن من الفنان**"[4]، وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"**رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها**"[5]، وأسند ابن مرزوق حديثين في هذا الباب فذكر عن فضالة بن عبيد رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"**كل ميت يختم له على عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن من فتنة القبر**"، وعن عثمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله

1-سورة آل عمران، الآية 200.

3-ناجي جلول، **الرباطات البحرية في بإفريقية في العصر الوسيط**، الوزارة الأولى كتابة الدولة للبحث العلمي والتكنولوجيا مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، السلسلة التاريخية عدد9، 1999م، ص15-16.

3- أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي(ت279هـ)، **سنن الترمذي**، تحقيق وتعليق، أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، ط2، ج4، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، 1395هـ/1975م، ص175.

4-زكي الدين عبد العظيم المنذري، مختصر صحيح مسلم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط1، طبعة جديدة منقحة و مزيدة، دار بن عفان-المملكة العربية السعودية، المكتبة الإسلامية-عمان، قصر الكتاب-البليدة، 1411هـ، ص281.

5-أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري(ت256هـ)، **صحيح البخاري**، طبعة فريدة مصححة مرقمة مرتبة حسب المعجم المفهرس وفتح الباري ومأخوذة من أصح النسخ ومذيلة بأرقام طرف الحديث، ط2، دار الفيحاء-دمشق، دار السلام-الرياض، 1419هـ/1999م، ص478؛ الترمذي، مصدر سابق، ج3، ص240، واللفظ للبخاري.

عليه وسلم قال:"**رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه ممن المنازل**"، والأحاديث والآثار في الباب كثيرة، والرباط والحراسة من أفضل الأعمال[1].

وقد تطرق ناجي جلول في بحث له حول مصطلح الرباط خلُص فيه إلى أن هناك مصطلحات مرادفة له وهي القلعة، الحصن، القصر[2]، كما وُصف الرباط أيضا بالمدينة المحصنة، والقلعة، والبرج، وبرج مراقبة[3].

والرباط في **المصطلح الأثري** المعماري نوع من الثكنات أو الأبنية العسكرية التي كان يرابط فيها المجاهدون على حدود الدولة وثغورها لحمايتها من الأعداء، وقد اعتادت الدولة الإسلامية إنشاء هذه الأربطة على حدودها وثغورها ليكون كل منها بمثابة حصن وبرج مراقبة واتصال ومنارة ومحطة بريد ترسل منها الأخبار العاجلة والإنذارات الآتية إلى حاضرة الخلافة في حالة تعرض الدولة للخطر، فإن كان ذلك ليلا أوقدت منارة الرباط لتصل الأخبار عبر الحراقات على طول الطريق إلى العاصمة، وإن كان بالنهار استبدلت النار بالدخان[4].

وقد رتب في هذه الأربطة أقوام للقيام بالأخبار أو الإنذار، فلا تكون ساعة إلا وقد أنفر في القصبة وضرب الطبل على المنارة ونودي إلى ذلك في الرباط وخرج الناس بالسلاح والعتاد حتى أن الخبر كان يخرج من سبتة في المغرب على جبل طارق فيصل إلى الإسكندرية في ليلة واحدة، رغم أن المسافة بينهما كانت تقطع في مسيرة شهر.

فلما زالت من هذه الأربطة صفتها الحربية صارت بيوتا للعبادة ... وقد انتشرت هذه الأربطة في الشمال الإفريقي خلال القرنين 2-3هـ/8-9م عندما بني رباط سوسة سنة 154-180هـ/770-796م، ورباط المنستير سنة 180هـ/796م في تونس.

1-محمد بن مرزوق التلمساني، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر، 1401هـ/1981م، ص397؛ عبد الرحمن بن مكرم ابن منظور(ت711هـ)، **لسان العرب**، ط3، دار صادر بيروت-لبنان، 1414هـ/1994م، ج7، ص202-203؛ ناجي جلول، مرجع سابق، ص15.

2-ناجي جلول، مرجع سابق، ص15، 18، 19، 37. 3

3-نفس المرجع، ص23.

4-عاصم محمد رزق، مرجع سابق، ص115.

وكانت **عمارة الأربطة** عبارة عن بناء حجري مستطيل يتكون في الغالب من طابقين يحيط به سور أرضي حصين متوج بشرافات علوية يشمل على مدخل بارز مزود بمقاذف للمنجنيقات ونحوها، وفي أركانه أبراج للمراقبة، وفي إحدى زواياه منارة أكثر ارتفاعا من سائر الأبراج تتكون من قاعدة مربعة وبدن أسطواني، وفي وسطه فناء تدور حوله حجرات صغيرة لِكَنِّ المرابطين فيه، ترتكز سقوفها المقببة غالبا على أكتاف حجرية مربعة، علاوة على مسجد صغير أو زاوية يقيمون فيها شعائر صلواتهم[1]، وهناك عدة مصطلحات تشترك مع الرباط في الوظيفة وهي الحصن، القلعة، القصر المحرس والمنظر، ونحاول هنا معرفة العلاقة بين هذه المصطلحات.

1-**ب- الحصن**: والجمع الحصون، يقال حصنٌ حصينٌ بيّن الحصانة، الحصن كل موضع حصين لا يوصل إلى ما في جوفه، وحَصَّنت القرية إذا بنيت حولها[2]، وهو المكان الذي لا يقدر عليه لارتفاعه، وموضع حريز لا يوصل إلى ما فيه، والحصن أيضا المدينة المحصنة، والحَصِين المنيع، ومنه قولهم حصن حصين بيّن الحصانة، وحصّن القرية أو المدينة بنى حصنا حولها.

وفي المصطلح الأثري المعماري البناء الذي لا يوصل إلى داخله إلا بقتال، وكان على نوعين أحدهما عبارة عن بناء منفصل قائم بذاته كان يبنى في الثغور الساحلية وطرق القوافل التجارية والمواقع الإستراتيجية الحساسة المشرفة على حدود الدولة، والآخر عبارة عن بناء متصل على هيئة **برج** في سور المدينة أو قلعة أو خان ونحو ذلك، وكان يشرف في هذه الحالة على البوابات وأركان السور وأجزاء متفرقة منه، ويشمل في كليهما على أبراج ذات مزاغل لرمي السهام، وعلى بوابات منزلقة وسقاطات لصب المواد الحارقة على المهاجمين.

ورغم أن المصادر العربية القديمة وما تبعها من المراجع الحديثة لم تفرق على ما يبدو بين القلعة والحصن والبرج، فإنه يمكن القول أن الحصن هو أكبر عمائر الاستحكامات الحربية، وهو كل بناء يحيط بمساحة من الأرض لحمايتها من أي اعتداء داخلي أو خارجي، ولهذا عرفت أسوار المدن في العصور الوسطى بالحصون مثل أسوار بغداد والقاهرة والقيروان وفاس وقرطبة (وتلمسان) وغيرها، ثم تطور استخدام هذه الحصون بعد ذلك تبعا لتطور النظم الإقطاعية التي كانت سائدة في العصور المشار إليها، وأصبح الحصن مقرا لإقامة حاكم مثل حصن عكا

1-عاصم محمد رزق، مرجع سابق، ص116

2-الجوهري، مصدر سابق، ج5، ص520-521؛ابن المنظور، مصدر سابق، ج13، ص119.

وحصن صور وحصن عجلون في الشام وغيرها، وكان طابقه الأرضي في هذه الحالة عبارة عن آبار ومخازن وأسلحة، وطابقه العلوي عبارة عن مزاغل وسقاطات لرمي السهام والمواد الحارقة على أي مهاجم، وطابقه الأوسط لسكنى حاكمه وأسرته وأعوانه، فكان الحصن بذلك هو مركز الحكم التقليدي، وتحيط به المباني المكملة لحمايته وتحصينه من الأبراج ونحوها[1].

1-ج- أما **القلعة** لغة قلع الشيء نزعه من موضعه، وأقلع عن الأمر تركه وكف عنه، وأقلع الشيء انجلى وانكشف، مثل أقلع السحاب، وأقلعت الغمة، وأقلعت الفينة، والقَلعة جمع قلاع وقلوع حصن ممتنع في جبل، وهي استحكام حربي يبنى في منطقة استراتيجية عالية أو في ثغر من ثغور الدولة ونحو ذلك، للمراقبة والدفاع ضد أي اعتداء خارجي، وكانت عمارتها عبارة عن مجموعة من الأبراج والأسوار والمزاغل والمراقب، وامتازت بأنها كانت سكنا للجند فقط، ولا مجال لإقامة المدنيين فيها، ومن هنا كان الحصن هو ما اشتمل ضمن مبانيه على قلعة أو أكثر، بينما كانت القلعة وحدة معمارية قائمة بذاتها، وقد تكون منفصلة عن الحصن أو داخلة فيه شريطة أن يكون موقعها استراتيجيا عاليا،وقيل يقصد بها في المصطلح الأثري المعماري طراز من الحصون شاع استخدامه في العصور الوسطى لحماية المدن من العدوان الداخلي أو الخارجي، وكان يقوم حينذاك بوظيفتي المسكن والحصن معا، لأن ظروف الحياة في تلك العصور التي كثرت فيها الفتن والاضطرابات والحروب كانت قد دعت إليه، وكان يراعى في اختيار موقع القلعة أن يتميز بالعلو والارتفاع ليُشرف على الأرض المحيطة به، ومن أمثلة ذلك قلعة بني حماد وقلعة بني عباس في الجزائر[2]، ثم ساق عاصم محمد رزق نفس الكلام أعلاه حول عدم تفريق المصادر العربية بين مصطلحي الحصن والقلعة، وهو هنا يؤكد على أن القلعة هي الحصن رغم أنه حاول في مصطلح الحصن أعلاه أن يبين أن القلعة جزء من الحصن.

1-د- أما **البرج** فهو عبارة عن بناء حربي مربع أو مستدير(أو مستطيل أو بأشكال أخرى) يبرز عن السور المتصل به سواء كان لحصن أو قلعة(أو مدينة)، ويحتوي على مراقب ومزاغل لرمي السهام، وكان من الضروري أن

1-عاصم محمد رزق، مرجع سابق، ص81؛ عبد المطلب جبار عبد الله، **القلاع والحصون في المدن الإسلامية دراسة تاريخية**، معهد الفنون الجميلة للبنات، ص3.

2-عاصم محمد رزق، مرجع سابق ، ص81-82، 241؛ عبد المطلب جبار عبد الله، مرجع سابق، ص3.

تزود أسوار الحصون والقلاع بعدد مناسب منها حتى تكون عملية الدفاع عنها سهلة وفعالة، والواقع أن المدن في أغلب أنحاء العالمَيْن القديم والوسيط كانت تحصن بأسوار عالية لحمايتها من هجمات المغيرين عليها.

1-هـ- **القصر** فهو واحد القصور: المنزل أو كل بيت من حجر، وعَلَمٌ لسبعة وخمسين موضعا ما بين مدينة وقرية وحصن ودار،وقصّر الثوب بيضه وقصر المرأة حبسها، وقصر البعير قيده، وقصر الدار حصنها بالحيطان، وأطلق القصر على المباني الفخمة التي يبنيها الحكام[1]، ويقصد به أيضا الحصون، ومما يؤيد هذا قول حسين مؤنس لما تكلم عن مادريد قال: وكان الحصن الكبير في مجريط نفسها يسمى قصر مريد، و((القصر)) لفظ لاتيني معرب من ((كاسترا)) ومعناه القلعة، وكانت تطلق أيام الرومان على القلعة الكبيرة التي تضم بيت الحاكم العسكري ومساكن جنده، فكانت قلعة وقصرا في آن واحد، وقد احتفظ اللفظ في المغرب والأندلس بهذا المعنى المزدوج للّفظ، فإذا قيل ((قصر مجريط)) أريد به الحصن الواسع الكبير وما يضمه سوره من بيت الحاكم ومساكن الجند والموظفين، وإذا قيل القصر الكبير(في المغرب) فالمراد الحصن [2] ، وسمي القصر بالمحرس الصغير ويراد به في المغرب القرية.[3]

1-و- **المحرس**: حرس الشيء يحرُسه ويحرِسه حرْسا وحرسةُ حِراسة: أي حفظه، والحرسُ: حرس السلطان هم خدمه المرتبون لحفظه وحراسته، الواحد حرسيّ، ويقال أحرس فلان بالمكان أي أقام به حرسا[4].

1-ز- **المنظر**: النظر تأمل الشيء بالعين...وقد نظرتُ إلى الشيء، والناظر الحافظ...والنظّارة: القوم ينظرون إلى الشيء[5]، والمنْظرة: موضع في رأس جبل فيه رقيب ينظر العدو، **ويحرسه**، و**المناظر**: أشراف الأرض لأنه ينظر منها[6]، وهذا يعني أن لها نفس وظيفة المحارس، وقد أشار ابن مرزوق إلى هذا التشابه عندما تكلم على ما بناه أبو الحسن المريني، فبوّب لذلك بقوله في إنشاء المحارس والمناظر في جميع بلاد السواحل وهي مواضع الرباط.

1-عاصم محمد رزق، مرجع سابق، ص238-240.

2-حسين مؤنس، **رحلة الأندلس، حديث الفردوس الموعود**، ط2، الدار السعودية للنشر والتوزيع، 1405هـ/1985م، ص257-258.

3-أبو العباس أحمد بن سعيد المجليدي، **التيسير في أحكام التسعير**، تقديم وتحقيق موسى لقبال، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر، 1981م، ص54.

4-الجوهري، مصدر سابق، ج3، ص76-77؛ ابن منظور، مصدر سابق، ص48.

5-نفس المصدر، ج2، ص566-567.

6-ابن المنظور، مصدر سابق، ج5، ص217-218.

يفهم من هذه التعريفات لهذه المصطلحات وهي الرباط، والقصر، والحصن، والقلعة، والمحرس والمنظر، أنها تتشارك في الوظيفة وتختلف في الاسم أي أن هناك تتداخل فيما بينها، وعلى هذا فإن المنشآت التي سنتطرق إليها فيما يلي قد تختلف في التسمية ولكن لها نفس الوظيفة وهي المرابطة والحراسة.

2- الحصون بضواحي تلمسان: لقد تنوعت المنشآت المعمارية من هذا النوع في **ضواحي مدينة تلمسان**(ينظر الصورتين 1-2 بالقمر الاصطناعي) وسنذكر هنا تلك التي استطعنا إحصائها من خلال المصادر الجغرافية بشكل خاص، وهي أرشقول، آسلن، تانكرمت، فكان، مرنيسة البير، ابن زيني، الفروس، الوردانية، هنين، وادي ماسين، تاونت، أبي جنون، كاربيوا، تابحريت ومصكاك ،في الجنوب من تلمسان قلعة ابن الجاهل وهي قلعة منيعة[1].

2-أ- حصن مدينة **أرشقول** ساحل تلمسان، وهي على نهر تافنة يقبل من قبليها ويستدير بشرقيها تدخل فيه السفن اللّطاف من البحر إلى المدينة، وبينها وبين تلمسان ميلان[2]، يجعلها بطليموس في الدرجة الثانية عشر طولا والرابعة والثلاثين وأربعين دقيقة عرضا، ويسميها سيكا كولونيا، وهناك نهر يحمل نفس الاسم ويصب قريبا منها يسمى نهر أرشكول، هذه المدينة عريقة في القدم، كانت عاصمة الإقليم ومملكة تلمسان كلها، أسسها السليمانيون إخوان الأدارسة وبقيت بأيديهم حوالي مائة 100 سنة، كان يسكنها التجار وأصبحت تحت حكم عيسى بن محمد بن سليمان ووليها وتوفي بها سنة 295هـ، وولد له فيها إبراهيم بن عيسى الأرشقولي، ووليها بعده ابنه يحي بن إبراهيم، وهو الذي حبسه أبو عبد الله الشيعي سنة 323هـ، وهدم المدينة فبقيت مائة وعشرين 120 سنة خرابا، ثم أعيد بناؤها بأمر من المنصور بن أبي عامر الأندلسي، وأقام بها حامية، ولما توفي خربها البربر ثم خُرّبت مرات أخرى منها في سنة 410هـ، وأضاف مارمول بأنه قد استولى عليها أحد ملوك المرابطين...وهدم جوانب من سورها، ثم أن الموحدين أعادوها إلى حالتها الأولى، ثم جاء المرينيون فخربوها[3].

1-ابن مرزوق، مصدر سابق، ص77.

2- أبو عبيد البكري، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، وهو جزء من كتاب **المسالك والممالك**، دار الغرب الإسلامي-القاهرة، ص77.

3- أبو عبيد البكري،مصدر سابق،ص78؛ محمد بن عبد المنعم الحميري(ت728هـ)، **الروض المعطار في خبر الأقطار معجم جغرافي**، حققه إحسان عباس، ط2 ، مكتبة لبنان، 1984م، ص26-27؛ حسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي، **وصف إفريقيا**، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، ج2، دار الغرب الإسلامي، 1983م، ص16؛ مارمول كربخال، **إفريقيا**، ج2، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي وآخرون، ج2، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع المعارف الجديدة، 1408هـ/1988-1989م، ص297-298.

يصفها البكري خلال القرن الخامس 5هـ فيقول عنها بأنها مسورة، وسعة سورها ثمانية أشبار، وأمنع جهاتها جوفيها، وبها أبواب، باب الفتوح غربي، باب الأمير قبلي، باب مرنيسة شرقي، محنية كلها عليها منافس[1]، أما الإدريسي في القرن السادس 6هـ فيقول كانت فيما سلف حصنا عامرا له مرسى[2]، يفهم من كلامه أنها في عهده أصبحت مركزا ثانويا، وفي القرن العاشر 10هـ يذكر مارمول أن المدينة القديمة تشاهد **اليوم آثارها** على الشاطئ وكانت مشيدة فوق صخرة عالية يحيط بها البحر من كل جانب، وليس لها سوى ممر صغير من جهة اليابسة في مسلك يدور حول الصخرة[3]، وهذا الوصف لا ينطبق على مدينة رشقون الحالية، بل نرجح أنها في نواحي المدينة الحالية ولم نهتد إلى مكانها.

2-ب- شرقي أرشقول حصن مدينة **اسلن** ستة 6 أميال على البحر، يسميها الحميري اسلي وهي مدينة حصينة قديمة، عليها سور صخر وبها جامع وسوق يسكنها مغيلة، ولها نهر يصب في البحر من شرقيها يسقى منه بساتينهم وثمارهم، وهي مقطوعة منحوتة السور من كل ناحية بنهر، ولها عين تجري بينها وبين البحر، وكان عبد الرحمن افتتحها وبعث إليها محمد بن أبي عامر حُميد بن يزل فبناها وجددها[4].

2-ج- قال الإدريسي ومنها إلى حصن **بني وزار** سبعة عشر ميلا وهو حصن منيع حسن في جبل على البحر[5]، لم يذكر البكري قبله هذا الحصن فلعله أنشئ في عهد الإدريسي.

2-د- حصن **تانكرمت** ستة أميال عن تيهرت وهو على ساحل تلمسان له مزارع واسعة وبسائط خصيبة[6].

2-هـ- وعلى مرحلتين من اسلن حصن مدينة **فكّان** بينهما نهر سي، وعليه المنزل في المرحلة الأولى، ومدينة فكّان كانت سوقا قديمة من أسواق زناتة، فمدّنها يَعْلَى بن محمد بن صالح اليفرني، وكان ابتداء تأسيسه لها سنة

1- أبو عبيد البكري،مصدر سابق، ص77.

2-أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني المعروف بالشريف الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ج2، مكتبة الثقافة الدينية-القاهرة، 1422هـ/2002م، ص534-535.

3-مارمول كربخال، مصدر سابق، ج2، ص297-298.

4-البكري،مصدر سابق، ص79؛ الإدريسي، مصدر سابق، ج2، ص535؛ الحميري، مصر سابق، ص58.

5-الإدريسي، مصدر سابق، ج2، ص535.

6-البكري، مصدر سابق، ص79؛ الحميري، ص128.

338هـ، وارتحل إليها أهل المعسكر من أهل تاهرت ويلل وشاطئ بني واطيل(يقصد شلف) ووهران وقصر الفلوس، فعمرت وتمدنت وعظمت، وهي في صفح جبل اوشيلاس وهو بجوفيها، ولهذا الجبل شعراء غامضة وبقبليها نهر سيره من منبعثه من عيون بشرقيها، عليه الأرحاء وبساتين من كلا ضفتيه، وبغربي فكان أسفل بساتينها مجمع الأودية وادي سيره ووادي سي ووادي هنت، وعلى مدينة فكان سور طوب وبها جامع وحمام وفنادق[1]، وذكرها الإدريسي باسم افكان وهي مدينة كانت لها أرحاء وحمامات وقصور وفواكه كثيرة، وكان عليها سور تراب لكنه الآن تهدم وبقي أثره، ووادييها يشقها نصفين، ومنها إلى المعسكر مرحلة[2]، قال يحي بوعزيز بعد أن نقل كلام الإدريسي أنها اليوم خراب[3] وقال الحميري عنها أنها كبيرة قديمة فيها آثار للأول، وخربت فبعث إليها المنصور بن أبي عامر من بناها وعمّرها[4]، وهو هنا يذكر كلام الجغرافيين قبله عن أرشقول فربما وقع في خلط بين الحصنين أو أن المنصور أعاد بناءها هي الأخرى.

2-و- وبين هذا الحصن وحصن **مرنيسة البير** ثلاثة أميال وهو حصن حصين[5].

2-ز- ومنه إلى حصن **ابن زيبَى** وسماه الحميري حصن زيان ثلاثة أميال أيضا، ولهذا الحصن نهر كثير الثمار والأشجار وبالقرب منه حصن العروس ويسميه البكري حصن الفروس[6].

2-ح- ومنه إلى حصن **الفروس** ميلان، وهو على قمة جبل على ضفة البحر.

2-ط- ومنه إلى حصن **الوردانية**(الصورة 3) ميلان وهو مثله على جبل ساحل البحر[7]،

2-ك- ومن الوردانية إلى حصن **هنين** أربعة أميال، وهو مرسى جيد مقصود، وهو أكثر الحصون المتقدمة الذكر بساتين وضروب الثمر، يسكنه قبيلة تسمى كومية، وبين حصن هنين(صورتين4-5) ومدينة نـدرومة الجـبل

1-البكري، مصدر سابق، ص79؛ الحميري،ص79.
2-الإدريسي، مصدر سابق، ج1، ص250-251.
3-يحي بوعزيز، **الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر القديمة والوسيطة**، ج1، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009م، ص99.
4-الحميري، مصدر سابق، ص440.
5-البكري، مصدر سابق، ص79.
6-نفس المصدر، ص79؛ الحميري، مصدر سابق، ص284.
7-نفس المصدر، ص80؛ الحميري، مصدر سابق، ص284.

المعروف بتاجرة، والمسافة بين الحصن(أي هنين) والمدينة(أي ندرومة) ثلاثة عشر ميلا.

2-ل- ندرومة في طرف جبل تاجرة وبينها وبين البحر عشرة أميال، وساحلها **وادي ماسين** وهو نهر كثير الثمار وله مرسى مأمون وعليه حصنان ورباط حسن مقصود، نرجح أنه من نواحي سيدي يوشع ولم نهتد إلى مكانه.

2-م- وبين وادي ماسين ومدينة ترنانا عشرة أميال، على ساحلها حصن **تاونت**(صورتين6-7) وهو حصن منيع في جبل منيف قد أحاط به البحر من ثلاث جهاته، وله مرتقى وعر من ناحية الشرق لا يطمع فيه أحد، وينزله قبيل من البربر يعرفون ببني منصور.

2-ن- وعلى هذا الساحل أيضا حصن **أبي جنون**.

2-س- وأيضا حصن **كاربيوا**[1].

مدينة ترنانا بينها وبين ندرومة ثمانية أميال ويسكن مدينة ترنانا فخذ من بني دمر يسمون بني يلول، وكان بها عبد الله الترناني بن إدريس بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم[2].

2-ع- ومن مدينة ترنانا إلى **تابحريت** عشرة 10 أميال ومنها إلى ندرومة حوالي اثني عشر 12 ميلا أي حوالي ثلاثين 30 كلم شمال غرب ندرومة، وهي مدينة صغيرة مشهورة عبارة عن حصن حصين حسن عامر آهل، بناها الأفارقة على ساحل البحر المتوسط في رأس صخرة، ذكر مارمول بأن تبحريت مدينة أسسها الرومان، وكأنها قلعة عند قدم صخور كبيرة وعرة، تفضي إلى مدينة هنين على شاطئ البحر بينهما بحرا أحد عشر ميلا، بها مسجد جامع متقن البناء يشرف على البحر ولها أسواق جامعة، ويسكنها من البربر مطغرة، وهم أعدل من هناك من قبائلهم، وهي محط للسفن ومقصد لقوافل سجلماسة وغيرها، والظاهر أنها خربت حيث ذكر البكري بأنها جددت على يد الحاج بن مرامر بعد سنة 420هـ، وتابحريت ساحل مدينة وجدة بينهما أربعون 40 ميلا وخلال القرن العاشر 10 هجري عاينها مارمول كربخال وقال بأن بأسوارها ثلم كبيرة في شتى المواضع، لذلك لا يرغب الناس كثيرا في الإقامة بها، وقال محققا كتاب وصف إفريقيا أن تبحريت اضمحلت لكن بقي اسمها، غير أن أهلها

1-البكري، مصدر سابق ،ص80.

2-المصدرنفسه،ص80.

يعيشون في خوف دائم من هجوم النصارى عليهم ليلا، ولذلك يقيمون حرسا يقظا في كل ليلة، لأن فقرهم لا يسمح لهم بأن يستأجروا جنودا[1]، في وقتنا الحالي هناك منطقة بين الغزوات(حصن تاونت) ومرسى بن مهيدي تسمى البحيرة فربما يوجد الحصن القديم بنواحيها، يفهم من النصوص الجغرافية أن تابحريت كانت موجودة خلال القرن الرابع الهجري وإنما جُدِّدت سنة 420هـ، ثم إن هناك نقطة مهمة التي أشار إليها الوزان بخصوص الحراسة من طرف سكانها وهي تؤكد لنا ضعف السلطة الحاكمة آنذاك، إذ لو كانت بالقوة اللازمة لحمت الثغور التابعة لها، ثم يتبين أن الأصل أن تلك الحصون كانت بها حاميات أو جند ثم أصبح المتطوعون هم الذين يقومون بعمل الدولة، أيضا كلمة يستأجروا جنودا هذا يوحي بأن هناك جنود متطوعون يؤدون خدماتهم لمن يدفع لهم، ولعل هذا بسبب ضعف الدولة كما قلناه آنفا، خاصة في فترة حسن الوزان الذي مات بعد سنة 957هـ/1550م إذ تكالبت إسبانيا والبرتغال على السواحل المغربية.

2-ف- وفي الشرق من تابحريت مدينة **مصكاك** بينهما نحو ثلاثة أميال، وهي مدينة مسورة على شاطئ البحر ذات بساتين وسوقهم بتابحريت، وهي أقدم من تابحريت[2]، أي أنها كانت موجودة خلال القرن الرابع الهجري.

من خلال هذه المعلومات وبعد جولة في ضواحي تلمسان، يظهر بأن مراكز المراقبة التي كانت موجودة على الساحل التلمساني كانت على نوعين النوع الأول عبارة عن حصون كحصن تابحريت، حصن مصكاك،حصن أبي جنون، حصن كاربيوا، حصن تاونت، حصني وادي ماسين، حصن هنين، حصن الوردانية، حصن الفروس حصن ابن زيني،حصن مرنيسة البير،حصن تانكرمت،حصن ارشقول وحصن آسلن،وهي كلها حصون قديمة أقل ما يقال عنها أنها كانت موجودة في بداية القرن الخامس الهجري، لأن البكري ذكرها خلال تلك الفترة وقد أكمل تأليف كتابه عام 467هـ، ومنها ما هو موجود قبل ذلك وقد أشرنا إلى تاريخ بعضها أعلاه،أما النوع الثاني فهو عبارة عن محارس تتمثل في أبراج مستقلة(صورتين8-9) بُنيت بين الحصون المذكورة وظيفتها إيصال المعلومات لتلك الحصون، ولم تتطرق المصادر التي بين يدي إلى وصفها وتحديد مكانها، ويوجد منها ثلاثة الأول بمدينة هنين والثاني

1-نفس المصدر، ص87؛ الشريف الإدريسي، مصدر سابق، ج2، ص534؛ حسن الوزان، مصر سابق، ج2، ص14-15؛ الحميري، مصدر سابق، ص127؛ مارمول كربخال، مصدر سابق، ج2، ص296.

2-البكري،مصدر سابق، ص87، الحميري، ص127.

بين هنين والوردانية وبالضبط بمخلد الثالث بالقرب من سيدي يوشع، ويمكن أن ندلِّل على وجود هذا النوع من المباني بما ذكره البكري عن رباط المنستير حيث قال: ومن محارس سوسة المذكورة محرس المنستير، وهو حصن عالي البناء متقن العمل، وبقرب المنستير محارس خمسة متقنة البناء معمورة بالصالحين[1]، والراجح أنها هي التي أشار إليها ابن مرزوق في كلامه على منشآت أبي الحسن المريني، حيث قال:" أنشأ هذا المولى رضي الله عنه من المحارس والمناظر ما لم يعهد مثله في عصر من الأعصار، وحسبك أن مدينة آسفي وهي آخر المعمورة إلى بلد الجزائر جزائر بني مزغنان آخر وسطى الغرب وأول بلاد إفريقية محارس ومناظر...وفي كل محرس منها رجال مرتبون، نظار وطلاّع يكشفون البحر[2].

خاتمة:

من خلال هذا الطرح الموجز نستنتج أن كثرت الحصون في ضواحي تلمسان وخاصة المناطق الساحلية على اختلاف تسمياتها لدليل على أهمية مدينة تلمسان باعتبارها حاضرة من حواضر المغرب الأوسط، فعلى صغر مساحة الساحل نسبيا نجد به حوالي أحد عشر 11 حصنا وثلاثة أبراج مستقلة، كلها أدت وظيفتها خلال العصر الوسيط، فمنها ما تطور ليصبح مدينة كأرشقول وهنين مثلا ومنها ما أصبح ساحلا مشهورا كتابحريت وغيرها ومنها ما بقي يؤدي وظيفته كحصن لمراقبة السواحل، وهذه النماذج المشار إليها في هذا البحث لا ندّعي أنها هي كل ما يوجد بتلمسان، بل هذا الذي ذكرته المصادر الجغرافية، ولم يكن الجغرافيون في يوم من الأيام مستكشفون لكل ما هو موجود من المعالم وإنما يذكرون ما شاهدوه أو نُقل لهم، إذ من المستحيل أن يجوب الشخص منهم كل المناطق سهلها وجبلها وإنما كان مسيرهم تبعا لسير القوافل في تلك الفترة والتي تتّبع مسلكا محددا بين المدن الكبيرة وبين عواصم البلدان، وتبقى تلك البلدان الصغيرة والقرى المتفرقة والسواحل المتعددة بعيدة عن مشاهداتهم.

1-البكري،مصدر سابق، ص87، الحميري، ص.127

2-ابن مرزوق، مصدر سابق، ص398.

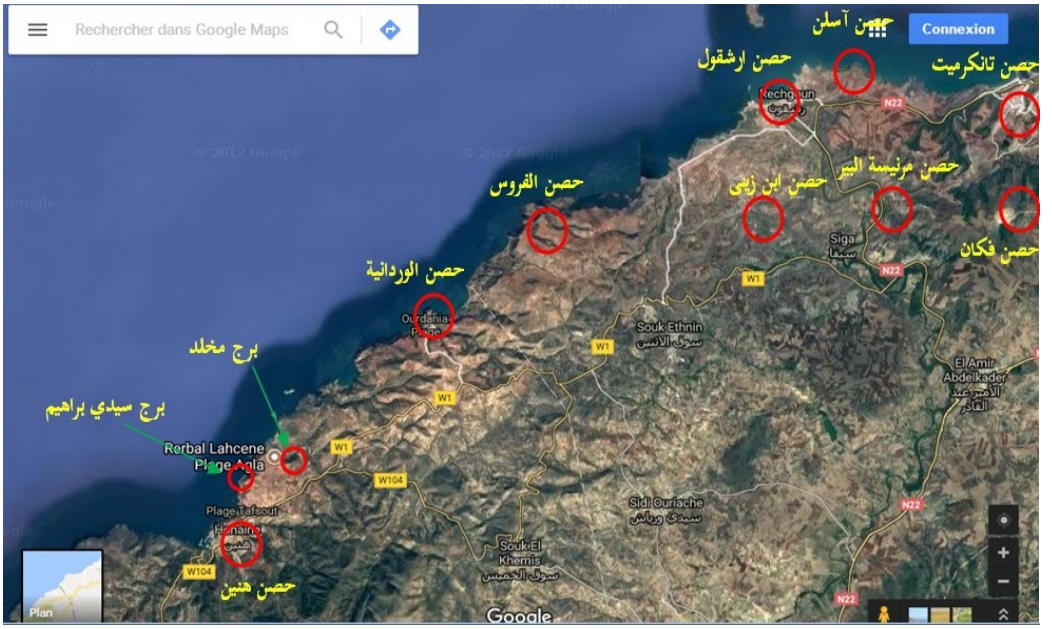

الصورتين 1–2:مواقع افتراضية للحصون بضواحي تلمسان.

صورة 3: حصن الوردانية، وبعض ما بقي من آثاره

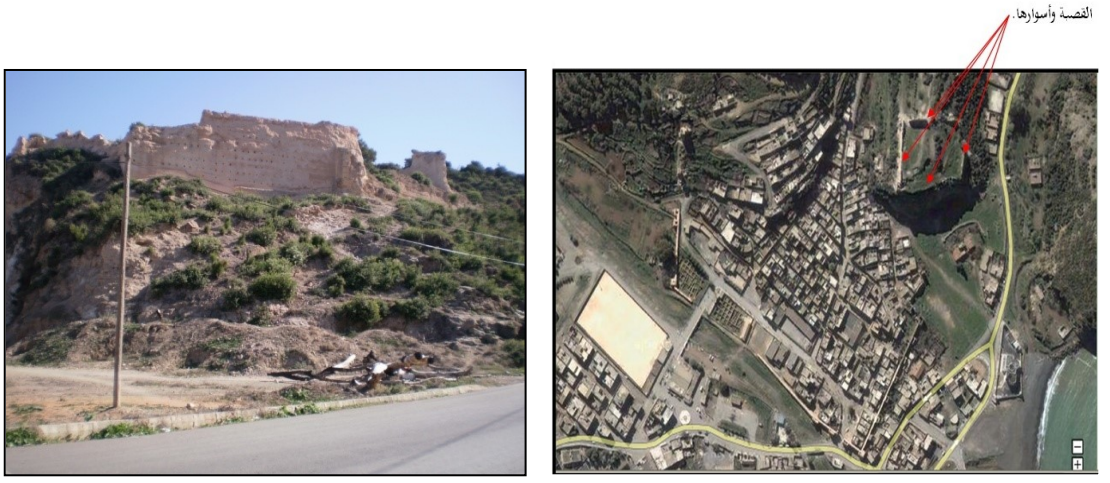

صورتين 4–5: حصن هنين وبعض ما تبقى من أسواره

صورتين6–7: تاونت

صورة8: برج هنين

صورة9: برج مخلد

قائمة البيبليوغرافيا:

القرآن الكريم

1-المصادر:

-أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري(ت393هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق إميل بديع ومحمد نبيل طريفي، ط1، ج3، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، 1420هـ/1999م.

-أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي(ت279هـ)، **سنن الترمذي**، تحقيق وتعليق، أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، ط2، ج4، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي– مصر، 1395هـ/1975م.

-زكي الدين عبد العظيم المنذري، **مختصر صحيح مسلم**، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط1، طبعة جديدة منقحة و مزيدة، دار بن عفان-المملكة العربية السعودية، المكتبة الإسلامية-عمان، قصر الكتاب-البليدة1411هـ.

-أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري(ت256هـ)، **صحيح البخاري**، طبعة فريدة مصححة مرقمة مرتبة حسب المعجم المفهرس وفتح الباري ومأخوذة من أصح النسخ ومذيلة بأرقام طرف الحديث، ط2، دار الفيحاء-دمشق، دار السلام-الرياض، 1419هـ/1999م.

-محمد بن مرزوق التلمساني، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر، 1401هـ/1981م.

-عبد الرحمن بن مكرم ابن منظور(ت711هـ)، **لسان العرب**، ط3، دار صادر بيروت-لبنان، 1414هـ/1994م، ج7.

-الدين محمد بن أبي عبد القادر الرازي، **مختار الصحاح**، ط3، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت-لبنان، 1430هـ/2009م.

-مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، رتبه و وثقه، خليل مأمون شيحا، ط4، دار المعرفة، بيروت-لبنان، 1430هـ/2009.

-أبو العباس أحمد بن سعيد المجليدي،**التيسير في أحكام التسعير**،تقديم وتحقيق موسى لقبال، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر، 1981م.

-أبو عبيد البكري،**المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**،وهو جزء من كتاب **المسالك والممالك**،دار الغرب الإسلامي-القاهرة.

-محمد بن عبد المنعم الحميري(ت728هـ)، **الروض المعطار في خبر الأقطار معجم جغرافي**، حققه إحسان عباس، ط2 ، مكتبة لبنان، 1984م.

-حسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي، **وصف إفريقا**، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، ج2، دار الغرب الإسلامي، 1983م.

-مارمول كربخال، **إفريقا**،ج2، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي وآخرون، ج2، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع المعارف الجديدة، 1408هـ/1988-1989م.

-أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني المعروف بالشريف الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ج2، مكتبة الثقافة الدينية-القاهرة، 1422هـ/2002م.

2-المراجع:

-عاصم محمد رزق، **معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية**، ط1، مكتبة مدبولي، 2000م.

-ناجي جلول،**الرباطات البحرية في بإفريقية في العصر الوسيط**، الوزارة الأولى كتابة الدولة للبحث العلمي والتكنولوجيا مركز الدرسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، السلسلة التاريخية عدد9، 1999م.

-يحي بوعزيز،**الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر القديمة والوسيطة**، ج1، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009م.

3-المجلات:

-عثماني كريمة،**حصن تاونت الأثري بمنطقة الغزوات حسب المعطيات التاريخية والشواهد المادية**، "مجلة منبر التراث الأثري"، العدد الخامس، ديسمبر 2016م.